المصدر: الوطن القطرية

التاريخ : ١٠ ديسمبر ٢٠٠٨

بارني جونسون: مصير الصومال بين الفوضى الداخلية والقرصنة الخارجية

طرحت الغارة التي شنها الإسلاميون الصوماليون على احدى قواعد القراصنة تساؤلا على القوى الدولية: من هو العدو الأول لنا في الصومال الآن؟

الصومال تحول إلى دولة فاشلة تسودها شريعة الغاب ولا أثر لأي مؤسسات حكم بل الوضع برمته تتحكم به الفوضى وانعدام القانون. وقد تطورت الأمور نحو الأسوأ إذ أصبح أذى الصومال ليس مقصورا عليه وحده داخل الأراضي الصومالية بل بدأ يطال العالم الخارجي، من السهل من الناحية الفنية أن تستهدف دول الغرب القراصنة والإسلاميين معا ولكن الذي سيحدث هو ان أي استهداف لجهة ما سيقوي الجهة الاخرى، وكلا الأمرين مر بل شديدة المرارة.

ان انتشار ظاهرة القرصنة أمر على درجة عالية من الخطورة وليس بامكان احد ان يدير ظهره لهذه المشكلة لانها تمس أمن الطاقة وسلامة الممرات البحرية العالمية ذات الارتباط الوثيق بالتجارة الدولية. الجماعات الإسلامية التي سبق ان فرضت سيطرتها على مقديشو لمدة ستة اشهر في ٢٠٠٦ بدأت تستعيد عافيتها وقوتها في جنوب الصومال. وتتضمن هذه القوى «حركة الشباب» وهي اكبر واقوى قوة على الساحة الصومالية ويقال ان لها ارتباطات بالقاعدة.

الصومال يعاني من الفوضى وانعدام الأمن والقانون والفقر مما دفع مئات الآلاف من الصوماليين للسفر الى خارج بلادهم. كل هذه المآسي لم تدفع المجتمع الدولي للتدخل واكتفت الاسرة الدولية بالنظر للمأساة كما لو كانت تدور فصولها في كوكب آخر. الآن بدأت الفوضى تنتشر الى خارج الحدود واصبحت القرصنة تشكل هدفا لا يمكن تجاهله من بقية دول العالم.

آخر حكومة مركزية عرفها الصومال انهارت في ١٩٩١ ثم ظهرت لفترة قصيرة في ٢٠٠٦ عندما سيطر الاسلاميون على مقديشو. ولكن سارعت اثيوبيا للتدخل ليدخل الصومال من جديد في دوامة الحرب والفوضى.

لقد خذل العالم الصومال وبعدها خذل الصومال العالم يقول برونوين بروتون من مجلس العلاقات الخارجية في واشنطن: لقد آذينا الصومال اكثر مما نفعناه بتدخلنا. ويقول احد الدبلوماسيين الغربيين «لقد اثبت القراصنة ان عدم تدخل الاسرة الدولية لمساعدة الصومال على الوقوف على رجليه ثانية قد اوجد مشكلة بل كارثة لا يمكن لأحد ان يتجاهلها بعد الآن».

ان ازدياد نشاط الجماعات الاسلامية من جهة والقراصنة من جهة اخرى ليس سوى انعكاس لمشكلة اخرى وهي عدم قدرة الحكومة الصومالية الفيدرالية المؤقتة التي اقامتها الامم المتحدة في ٢٠٠٤ على جلب الاستقرار للبلاد ولو في حده الادنى فهذه الحكومة كانت عاجزة منذ تشكيلها وكانت سيطرتها لا تتعدى عدة اميال مربعة والذي مكنها من البقاء حتى الآن هو استعانتها بالقوات الاثيوبية الموجودة حاليا على الارض الصومالية ويورد المحللون اسبابا لا حصر لها لفشل هذه الحكومة لانها ابتليت بالفساد وعدم الكفاءة والتنافس الحاد القائم بين الرئيس عبدالله يوسف ورئيس وزرائه.

لم تظهر الاطراف الصومالية المختلفة اي رغبة حقيقية في اجراء مصالحة وطنية والوضع الفوضوي يضر بالبلاد والشعب ولكن هناك امراء حرب يستفيدون من الاوضاع للمحافظة على انشطتهم الاجرامية وتقويتها وتطور الامر لاحقا للاسوأ عندما عمل امراء الحرب على فرض سيطرتهم على المطارات والموانئ.

وقد اقر الرئيس عبدالله يوسف ان حكومته فقدت السيطرة على معظم المناطق لصالح الاسلاميين والغريب ان الجماعات الاسلامية تمتلك القدرة دون غيرها على وضع نهاية سريعة لظاهرة القرصنة.

ويقول الاسلاميون ان غارتهم على احد مواقع القراصنة كانت انتقاما لقيام القراصنة باحتجاز ناقلة النفط «سيروس» كون هذه الناقلة مملوكة من قبل دولة مسلمة هي السعودية وخلال العقدين الاخيرين كانت الجماعة الوحيدة التي استطاعت وضع حد لظاهرة القرصنة هي «اتحاد المحاكم الاسلامية» التي فرضت سيطرتها على البلاد لفترة مؤقتة في ٢٠٠٦ الى ان تدخلت القوات الاثيوبية ضدها وبدعم اميركي.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

يقول بعض المحللين ان الاسلاميين سيطرون ثانية على الصومال بينما ينفي البعض الآخر ذلك على اساس انه ليس هناك وحدة حقيقية بين هذه الجماعات. وفي الوقت الذي تستمر الفوضى فإنه يتوجب على الغرب الخروج بمفاهيم جديدة للتعامل مع هذا البلد لجلب الاستقرار اليه ومساعدته لكي يساعد نفسه للخروج من هذه الدائرة الجهنمية.

ان اعمال القرصنة ليست بالشيء الجديد في هذه المنطقة ويقول مكتب الملاحة الدولية انه جرت حوالي ١١٠ عمليات قرصنة او محاولة للقرصنة خلال الفترة من ١٩٩٥ الى ٢٠٠٢ وذلك قبالة السواحل الممتدة امام القرن الافريقي. وقد تصاعدت عمليات القرصنة مؤخرا حيث تم شن ١٩ هجوما للقراصنة في الفترة من يناير حتى يونيو في هذا العام وذلك في خليج عدن ولم تأخذ الاسرة الدولية تلك الحوادث على محمل الجد. في صيف هذا العام كان الناتو مشغولا بارسال سفنه الحربية الى البحر الاسود عقب الحرب الروسية ـ الجورجية وبالتالي لم يرسل اي سفن الى منطقة القرن الافريقي. مما شجع القراصنة على زيادة هجماتهم بالرغم من الوجود الاميركي في القرن الافريقي.

كل ما يسعى القراصنة في تحقيق حتى الآن هو الحصول على المال وسوف يتغير هذا الشيء عاجلا او اجلا بحيث يتم القيام بعمليات قرصنة ذات طابع ارهابي تؤدي في النهاية الى إلحاق الشلل في احد اهم خطوط الملاحة الدولية.

ان شن هجمات ضد اهداف كبيرة مثل ناقلة النفط السعودية العملاقة قد يؤدي الى اعاقة الملاحة في باب المندب وربما وقفها مما سيؤثر سلبيا على قناة السويس.

هذا الوضع سيجبر ناقلات النفط على تغيير وجهتها لتنتقل الى المرور حول رأس الرجاء الصالح عوضا عن المرور في قناة السويس مما يعني خسارة مصر لمصدر مهم من الدخل القومي ورفع تكاليف الطاقة من ناحية سلوك طرق اطول ودفع مبالغ اعلى للتأمين على السفن وحمولاتها. ان القرصنة في مياه شرق افريقيا لم تعد تشكل مجرد ازعاج بل اصبحت تشكل تهديدا اقتصاديا للعالم اجمع.

سيكون من الضروري تواجد اساطيل غربية في المنطقة على المدى القصير ولكن يجب البحث عن حلول تصلح على المدى البعيد على اساس قاعدة «درهم وقاية خير من قنطار علاج».

سبق ان واجهت الملاحة البحرية الدولية خطر قرصنة في خليج غينيا وقد تم في بداية هذا العام التوقيع على مذكرة تفاهم لاقامة قوة اقليمية لخفر السواحل خولت القيام بتنظيم ملاحقات ساخنة للقراصنة والمهربين حتى عبر الحدود.

الخطوة الاولى تتمثل في اقامة منظمة مماثلة تضم الدول العربية اضافة الى كينيا واثيوبيا وتضع هذه المنظمة اطارا قانونيا لتنسيق العمليات. فيما يتعلق بالتكلفة المالية فإن بامكان الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تحملها بحيث يتم تقوية القدرات المحلية للدول المطلة على هذه الشواطئ والممرات البحرية لمقاومة القراصنة من خلال توفير التدريب والمعدات. هذا الترتيب لايعد مكلفا كما يتصور البعض وذلك بسبب توافر التكنولوجيا مما سيسهل عمليات رصد القراصنة وملاحقتهم وجمع المعلومات عنهم. هذا الشيء ايضا سيفعل عمليات تلبية نداءات النجدة على وجه السرعة وسيسهل ايضا تحديد اماكن اختباء القراصنة برا وبحرا.

ان القضاء على ظاهرة القرصنة لن يتحقق فقط بالوقوف عسكريا في وجه القراصنة بل لابد ان يشمل العلاج ايضا الاسباب التي ادت الى انتعاش هذه الظاهرة مثل الفقر وعدم وجود سلطة حكومية مركزية وفعالة في الصومال.

ان المشكلة لم تعد مشكلة افريقية يجب ان تعي واشنطن وبروكسل هذا الامر جيدا.

قبل ان تغزو اثيوبيا الصومال بمباركة واشنطن لم يكن احد يسمع بوجود الصومال على شاشات رادار الجهاد الاسلامي العالمي. بعد وصول الاثيوبيين بعامين نشط النزاع في الصومال الى مستويات غير مسبوقة وغير متوقعة حيث اصبح يتحول مع مرور الوقت الى منطقة جذب للجهاد والجهاديين. واذا تجولنا عبر شبكة الانترنت نجد كما هائلا من المناشدات ودعوة المسلمين للتطوع للجهاد في الصومال ودعوة القادرين ماديا على مد يد العون لتمويل الجهاد من اجل اخراج الاثيوبيين من ارض الصومال الاسلامي ولاقت هذه الدعوات استجابة من قبل الكثيرين الذين تداعوا للجهاد في سبيل الله وجاءوا للصومال من زنجبار وجزر القمر وباكستان وغيرها الكثير مما ساهم في اذكاء نيران المقاومة الصومالية.

—

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

لقد ادى التدخل الاثيوبي الى اثارة غضب وغيرة المسلمين خاصة ان الطرف الذي يدعم اثيوبيا في حضورها للصومال هي الولايات المتحدة على وجه الخصوص والغرب على العموم مما ساهم في افشال خطط الاحتواء التي اعدت للصومال.

تمكنت حركة الشباب خلال الاشهر القليلة الماضية من فرض سيطرتها على معظم جنوب الصومال ولم يعد بوسع الحكومة المؤقتة التي حضرت اثيوبيا لنجدتها ان تفرض سيطرتها حتى على الطرق المؤدية الى خارج العاصمة مقديشو وخاصة تلك الموصلة الى بيداو، التي كانت مقرا للحكومة المؤقتة قبل احتلال

مقديشو. هذه الطريق اصبحت غير آمنة ولا يكاد يمر يوم واحد دون ان تتعرض القوافل العسكرية الاثيوبية والحكومية لتفجيرات القنابل التي توضع على جوانب الطريق.

لقد وجدت الاثيوبيون انفسهم متورطين في قتال يزداد حدة مع مرور الوقت في الوقت الذي بدأوا يدركون ان وجودهم في الصومال اصبح جزءا من المشكلة وليس جزءا من الحل. في هذه الاثناء فشلت الحكومة المؤقتة في اظهار اي نوع من الفاعلية في الحكم وهو نفس السيناريو الذي تكرر قبل ذلك في العراق وافغانستان.

كل هذه الظروف دفعت اثيوبيا للاعلان عن قرارها الانسحاب من الصومال عند نهاية العام الحالي وذلك من اجل تقليل الخسائر في صفوف قواتها والتخلص من الارهاق الذي بدأ يلحق بها نتيجة لهذه الحرب التي دفعت اليها دفعا. الانسحاب الاثيوبي سيكون له تداعيات ليس على الشعب الصومالي الذي طحنته الحروب الداخلية والتدخل الاجنبي بل على العالم اجمع.

الصومال ظل دولة فاشلة لاكثر من ١٧ عاما وسوء الاوضاع الداخلية بدأ ينعكس على العالم الخارجي ببروز ظاهرة القرصنة ويقول البعض انه اذا ما قدر لحركة الشباب اغتنام فرصة رحيل الاثيوبيين وفرض سيطرتها على الارض فإن الصومال سيتحول الى ارض تفرخ الارهاب والارهابيين ومقرا للارهاب العالمي الذي يثير ذعر اميركا.

حركة الشباب تستمد شرعيتها في داخل الصومال من كونها حركة وطنية تدافع عن حرية الصومال ضد التدخلات الخارجية وهمها الاول ليس محاربة الاثيوبيين لانهم مسيحيون فقط وبمجرد ان يغادر الاثيوبيون الصومال فإن الفصائل الصومالية المختلفة من وطنية واسلامية قد تتوافق مع بعضها البعض.

ان اللوم في حدوث هذه الهزيمة لا يمكن إلقاؤه على كاهل اثيوبيا وحدها فمنذ تدخل الامم المتحدة في الصومال في اوائل التسعينيات ومالقيه ذلك التدخل من نكسات ابدت القوى الغربية ترددا واضحا في تشكيل قوة لحفظ السلام في الصومال ولو تم هذا في الوقت المناسب لمكن الاثيوبيين من الرحيل مبكرا.

واذا كان هناك امل في استقرار الاوضاع في الصومال فإن ذلك لن يتحقق الا اذا وحد الصوماليون صفوفهم ويمكن تحقيق هذا بمساعدة الدول الاسلامية الاخرى التي اكتفت حتى الآن بمجرد الوقوف والتفرج.

www.ethraadl.com